د. محمود الضبع

صناعة المعرفة

في عصر مجتمع المعرفة



محمود الضبع

صناعة المعرفة

في عصر مجتمع المعرفة

الطبعة الأولى

2024 م





العنـــــــــوان: صناعة المعرفة

المــؤلــــــــف: د. محمود الضبع

إشراف عـــــــام: نجلاء محمد رضا قاسم

الناشـــــر



جمهورية مصر العربية

15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان – باب اللوق – القاهرة

تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+

emil: samanasher@yahoo.com – publishing@sama-publishing.com

إخراج داخلي : حمدي إدريس

الترقيـــم الدولـــي:

رقـــــم الإيـــداع:

الطبـعـــــــة الأولى: يناير ٢٠٢٤

صناعة المعرفة

في عصر مجتمع المعرفة

د. محمود الضبع

الفهرس

إهداء

إلى الوعي العربي،

لعله يُستعاد

مقدمة:
لماذا يمثل بناء المعرفة ضرورة حتمية؟

يشهد العالم تحولات جذرية في وسائط المعرفة وطبيعة إنتاجها وتداولها، بالانتقال بها إلى واقع مغاير تماما، وذلك بعد حركات التحول الكبرى التي شهدتها البشرية عبر تاريخها في الانتقال من الشفاهية للكتابية، ثم الانتقال من الكتابية إلى الرقمية Digitalization، وما اقتضاه ذلك من متطلبات «التحول الرقمي»، ثم ما لبث العالم في الاتجاه نحو تحول أخير تمثله بدايات ما تم طرحه وتداوله متمثلا في «الذكاء الاصطناعي» (AI)، الذي يعتمد في الأساس على عمليات (NLP) أي البرمجة اللغوية العصبية Neuro-Linguistic Programming، تلك المختصة بجعل الأجهزة الحاسوبية تفهم اللغة البشرية وتعالجها؛ لإنتاج البيانات الجديدة غير المعتمدة على الإنسان – من الأساس- في أية مرحلة من مراحل الإنتاج، وهي المرة الأولى في تاريخ البشرية، التي لا يصبح الإنسان فيها هو المسؤول عن إنتاج المعلومات وتحويلها إلى معرفة.

والمتأمل الفاحص، يستطيع ملاحظة أنه على المستوى العالمي تم المزج بين متباعدات عدة لصناعة ما يشبه النموذج المتحكم الآن، مثل: استثمار المعرفة والمعلومات، والرأسمالية الجديدة، والغزو الفكري، وفلسفات التفكيك والحداثة وما بعد الحداثة، والعولمة، ومجتمع المعرفة، وحروب

الجيل الرابع والخامس والسادس، وهيمنة فلسفة السيولة، وغيرها من معطيات أوجدتها التكنولوجيا وأسهمت في منحها مساحات لمن يمتلك القدرة على الاستثمار لصالح تحقيق أهدافه والترويج لهيمنته، وتحقيق مكاسبه السياسية والاقتصادية بمفهوم القوى الناعمة، وفتحت الباب -كذلك- لإمكانية إسهام كل من يمتلك القدرة للدخول في السوق العالمي المفتوح بما فيه من أبعاد مضيئة وأخرى مظلمة، وهو ما شهدناه في صعود أمم وشعوب ومؤسسات وهيئات لم يكن لها ذكر من قبل، وفي الوقت ذاته تراجع أخرى كانت لها هيمنة عالمية، ولو بحثنا عن السبب سنجد أن المعرفة وإنتاجها واستثمارها هو الذي غير موازين القوى تلك، وهو ما ناقشته تقارير دولية عديدة صادرة في السنوات الأخيرة، منها تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم 2019، بعنوان «الطبيعة المتغيرة للعمل»، وتقرير اليونسكو للعلوم حتى عام 2030، والذي وضع على غلافه الخارجي اقتباسا ينص فيه على أنه:

«تبدو العديد من الإشكالات شائعة في كثير من الدول، مثل تلك التي تحاول إيجاد توازن بين الالتزام المحلي والدولي في مجال البحوث، أو بين العلوم الأساسية والتطبيقية، وخلق المعرفة الجديدة، والمعرفة القابلة للتسويق، أو العلم من أجل الصالح العام مقابل العلم لأغراض تجارية» .

كل ما سبق يحيلنا للوقوف أمام تعاملنا – نحن العرب- مع مفهوم المعرفة الذي تحول اليوم إلى صناعة لها أسسها وإجراءاتها، وله اقتصاد يسمى باسمه «اقتصاد المعرفة» Knowledge economy، وهو ما يستدعي منا الوقوف أمام قضايا الفكر والمعرفة العربية إجمالا، واستثمار كل ذلك لصالح المحافظة على وجودنا أولا، ثم الانتقال ثانيا لحلم اختراق مجتمع

المعرفة والإسهام في إظهار ما نملك – وهو كثير- لبناء قاعدة معرفية عربية تحتل مكانتها من الوجود العالمي ومعايير قوته، وثالثا فيما يتعلق بقواعد وأساليب وآليات تنظيم وإنتاج المعرفة المعاصرة، وآليات تداولها عبر الوسائط التكنولوجية، بما فيها مكتبات المستقبل التي غدت واقعا الآن، وهذا في إجماله هو مفهوم «صناعة المعرفة» الذي أصبح ضرورة حتمية لا غنى عنها.

ويهدف هذا الكتاب إلى الوقوف على التحديات التي تواجه الثقافة العربية لبناء مجتمع المعرفة، وكشف أبعادها ومستجداتها لتدارك مخاطرها التي غدت تمثل تحديا أما كل شعوب العالم.

كما يقف الكتاب أمام آليات بناء وصناعة المعرفة العربية، ورصد مصادر هذه الصناعة -فيما نملك بالفعل- ومنه على سبيل المثال لا الحصر، الوقوف أمام أوضاع مكتباتنا العربية وبحث احتمالات وصيغ وأشكال تطورها لتتمكن من الإسهام في صناعة مجتمع المعرفة.

ويستعرض الكتاب الشبكات الاجتماعية المعرفية، والجهود العالمية التي تمكنت المنظمات والبلدان من خلالها استثمار هذه الشبكات لبناء مجتمع المعرفة، وهو ما سيفيدنا عربيا في التمهيد لإمكانية دعم مكتباتنا الحالية لتتحول إلى «مكتبة المستقبل» Future Library على النحو الذي بدأ في التبلور عالميا، وبالتالي تحديد ما يستلزم ذلك من تغيير في نظرتنا إلى المعرفة، ومفهومنا عنها، وطريقتنا في نشرها، وآليات إنتاجها وتداولها، وهو ما يقتضي دراسة النماذج العالمية التي تم إنجازها في هذا الصدد.

لقد أتاحت لنا التكنولوجيا والرقمية المعاصرة إمكانية الوقوف على مستجدات العالم على نحو سريع، وأتيحت لنا فرصة تاريخية في تقديم

ما نملك والإسهام به في مجتمع المعرفة، إذ ما يزال منجزنا التراثي العربي محل اهتمام عالمي، كما يمكن تتبعه عبر التداول العالمي في العلوم الإنسانية والتجريبية، إضافة لأن هذا التراث يعد أضخم مدونة تراثية شهدها العالم في تاريخه قياسا إلى المدونات اليونانية أو الفارسية أو الهندية أو الصينية القديمة، ويضاف إلى ذلك جميعه أنه لا تزال هناك إمكانات ضخمة يحويها هذا التراث، ويمكننا من خلال التفكير فيها بمفهوم «صناعة المحتوى» أن نحقق لها العالمية.

فلماذا تمثل دراسة هذا الموضوع حتمية ضرورية الآن؟

من المتعارف عليه في الأوساط المعنية أن الثقافة العربية تواجه جملة من التحديات في سبيل بناء مجتمع المعرفة، والذي تعد المكتبة -بمتطلباتها المستقبلية وليست الراهنة- رافدا رئيسا من روافده، غير أن المكتبة بصورتها الحالية لم تعد تصلح للدخول في عصر المعلوماتية وبناء هذا المجتمع، وإنما ستحتاج للتحول إلى صيغة مكتبة المستقبل كما يطرحها التطور الحادث، وهو الأمر الذي ما تزال مكتباتنا بعيدة عنه، وما زال الوعي العربي تجاه كثير من المفاهيم ذات الصلة، مثل: الرقمية والإنتاج الرقمي، بحاجة لمزيد من الدراسات والأبحاث لتحديد أبعاده.

وتنبع أهمية دراسة هذا الموضوع -إجمالا- من بحثه في حتمية ضرورية لمستقبل الثقافة العربية، وهي كيفية التحول إلى نمط الإنتاج المعرفي، واستثمار ما نملك من محتوى بما يشمله من مخطوطات ووثائق وكتب وتراث شعبي مخزون في مكتباتنا الوطنية والأكاديمية والمؤسسية، وما نملك من أبحاث علمية ودراسات محفوظة في مكتبات الجامعات والمؤسسات العلمية، وما تحويه المكتبات الخاصة وما يملكه

الهواة، لتحويله إلى صيغ تسمح بأن يكون هو المحتوى لمكتبات المستقبل، من خلال بناء شبكة معرفية تربط هذا المحتوى، (باستثمار الأفراد وما يملكون من محتوى أو إمكانات)، تسهم في بناء مجتمع المعرفة العربي وصناعة المعرفة بالآليات التي يتداولها العالم راهنا، أو تلك التي يمكنه الدخول فيها مستقبلا.

ومن جهة أخرى فإن المعرفة الآن لم تعد رفاها أو متطلبا تكميليا، ولكنها غدت الأساس في بناء القوة التي تعتمد عليها الدول والحضارات، وغدا لها اقتصادها «اقتصاد المعرفة»، ولها سلطتها بما تملكه من إمكانات التوجيه والتحكم في الشعوب عبر تطبيقات التكنولوجيا، أو الإنتاج الثقافي المادي وغير المادي، أو غير ذلك جميعا مما يتكشف حولنا في مظاهر الهيمنة والتحكم في وعي الشعوب من خلال إنتاج المعرفة وتطبيقاتها بدءا من الهواتف المحمولة، والبرمجة العصبية والدماغية، وصولا إلى استخدام المعرفة سلاحا في حروب الأجيال المعاصرة، بما يتم تمريره في صناعة الوعي وفصل الشعوب عن مرتكزاتها، والتحكم فيها عن بعد، وغيره مما يتم تداوله عالميا .

ويعالج هذا الكتاب إجمالا أبعاد «صناعة المعرفة العربية» عبر محاور نوعية تمثلت في:

- رصد التحديات الراهنة والمستقبلية التي تواجه الوضع العربي لبناء مجتمع المعرفة.
- الوقوف على المرتكزات العامة للتحول في مجتمع المعرفة العالمي، وآليات إنتاجه.
- الوقوف على التحديات التي تواجه المكتبات العربية الحالية ومتطلباتها التي تفرضها التحولات المستقبلية.

- تحديد مفهوم وأبعاد وطبيعة وأدوار مكتبات المستقبل (بوصفها مصطلحا)، ومصادرها المعرفية.
- رصد متطلبات بناء «مكتبة المستقبل» العربية بوصفها نواة بناء مجتمع المعرفة العالمي.
- تحديد مفهوم وأنواع الشبكات المعرفية العربية وكيفية استثمارها لبناء مجتمع المعرفة.

بقي أمر أخير من المهم الإشارة إليه، وهو أن هذا الكتاب يسعى -مجرد سعي- لمحاولة إحداث تغيير في مفهوم النشر العربي -بشكل عام- من خلال ربط المقروء بالمرئي، فقد تم ربط الموضوعات والقضايا التي يعالجها الكتاب بفيديوهات - للمؤلف نفسه- على اليوتيوب، تقدم شرحا على نحو أوسع وبطريقة ميسرة، وتحقق مفهوم التضافر بين الوسيط المكتوب، والوسائط المرئية والمسموعة والحركية، وذلك من خلال استثمار تقنية الكيو آر كود QR code، حيث تم وضع صورة مصغرة بجانب عنوان الموضوع، وبمجرد أن يفتح القارئ أي تطبيق «كيو آر» على هاتفه المحمول ويقوم بمسح الصورة، فإن التطبيق يحيله مباشرة إلى الحلقة على اليوتيوب من خلال قناة «ثقافات عابرة».

ولعله يكون نافعا،

د. محمود الضبع

القاهرة 2024

١ - تحديات تواجه الثقافة العربية لبناء مجتمع المعرفة:

العولمة والسيولة، الاحتكارات الخمسة،

القراءة، النشر، الرقمية، العلم المفتوح.

من المعروف الآن أن هناك كيانات جديدة هي التي تصنع الاقتصاد العالمي وتتحكم فيه عن طريق التكنولوجيا الذكية (ببرمجياتها وأدواتها المتطورة على الدوام)، وهو اقتصاد استطاع تجاوز مفاهيم الاقتصاد القديمة المعتمدة على المواد الخام والمنتجات الزراعية والمواد والسلع المادية... إلخ، إلى مفاهيم الاقتصاد المعتمد على المعرفة والتكنولوجيا، والاقتصاد المتعدد الأهداف والعابر للقارات «يعمل الاقتصاد العالمي على نشر أنواع جديدة من النظم، وإفراز أنواع جديدة من الرأسمالية، لذا فإن الاقتصاد الكوني الذي يتم تشكيله حاليا نتيجة للتقدم التقني، سيفجر أنواعا جديدة من المنافسة بحيث يصبح على الدول النامية إما إصلاح نفسها أو تدمير نفسها» [1].

وكما يشير تقرير البنك الدولي 2019، عن التنمية في العالم: «أن التكنولوجيا تعيد تشكيل المهارات اللازمة للعمل، فالطلب على المهارات الأقل تقدما التي يمكن استبدالها بالتكنولوجيا آخذ في الانخفاض، وفي الوقت نفسه، يرتفع الطلب على المهارات المعرفية المتقدمة، والمهارات الاجتماعية السلوكية، ومجموعات المهارات المرتبطة بزيادة القدرة على التكيف، وهذا واضح بالفعل في البلدان المتقدمة، وبدأ هذا النمط يظهر في بعض البلدان النامية، ففي بوليفيا ازدادت نسبة التوظيف في المهن ذات المهارات العالية بنسبة 8 نقاط مئوية بين عامي 2000، و 2014، وفي إثيوبيا كانت هذه الزيادة 13 نقطة مئوية، وتظهر هذه التغيرات، ليس فقط من خلال الوظائف الجديدة التي تحل محل الوظائف القديمة، ولكن أيضا من خلال الملامح المتغيرة لمهارات الوظائف القائمة» [2].

(1) علي حجازي إبراهيم: التكامل بين الإعلام التقليدي والجديد، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، 2017.

(2) يمكـــن العودة في ذلك إلى تقرير: الطبيعة المتغيرة للعمل، تقرير عن التنمية في العالم، مجموعة

من هنا تجد الدول العربية نفسها أمام جملة من التحديات التي تواجهها في سبيل بناء مجتمع المعرفة، ومنها:

أ - تحدي العولمة والسيولة ومجتمع المعرفة وتغير آليات صنعة الثقافة:

هناك أنواع متعددة للعولمة، أشهرها العولمة الاقتصادية، والعولمة السياسية، والعولمة الثقافية، وإن كان المعنى الإجمالي لها هو توحيد نمط عالمي ينضوي الجميع تحته، وهو ما يطرح التساؤل حول معيار هذا النمط ومن الذي يصدره؟ وهل هو انتخاب للممارسات البشرية الجيدة، أم أنه اختيار نمط الأقوى وفرضه على بقية شعوب العالم؟

ويعرفها قاموس أكسفورد بأنها: «التكامل المتزايد عالمياً للأنظمة الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية»، وأنها: «العملية التي تطبقها المنظمات والشركات والمؤسسات بهدف تحقيق نفوذ دولية، أو توسيع عملها ليتحول من محلي إلى عالمي» [١].

وهو ما يفرض تحديات أمام العالم أجمع، حيث تسعى كل دولة أو مؤسسة قوية لفرض هيمنتها على السوق العالمي (باعتبار أن كل شيء يتحول الآن لمفهوم السلعة وقابليته للبيع والشراء بما فيه من ثقافة وعلوم)، وبالتالي لم تعد هناك سبل أمام المستهلكين الآن في كل شعوب العالم سوى الخضوع لأوامر السوق العالمي وأوامر من يتحكم فيه ويفرض قوانينه وقواعده، وهو ما ستكشف عنه دراسة الاحتكارات العالمية كما سيرد.

البنك الدولي، 2019، ص6. Washington, DC: World Bank. Doi.

(1) - “globalization”, Oxford Dictionaries, 2017.

ولا تنفصل قضايا العولمة عن مجتمع المعرفة الذي يعتمد على صناعة المعرفة وإنتاجها وتسليعها وترويجها (تسويقها عالميا)، بما يجعلها صالحة للتداول، ومطلوبة في كل قطاعات الحياة العملية والاجتماعية (داخل وخارج المنزل)، إضافة إلى تغليف كل منتج (مادي أو غير مادي) بإطار معرفي يجعل حضور هذه المعرفة ضروريا ولا يمكن الاستغناء عنه.



وقد حدث الاندماج بين العولمة، ومجتمع المعرفة مبكرا، مما أوجد نمطا جديدا من الحياة يتناسب مع الدول المصدرة له (الغرب اجمالا)، وهو الأمر الذي يضع كل الشعوب صاحبة المنظومات الأخلاقية والدينية في تحديات ضخمة، ومنها مجتمعاتنا العربية التي غزتها مفاهيم وأفكار العولمة عن طريق الإعلام والإعلام البديل على وجه الخصوص، وما أحدثه فيها من تشويه لكل ملامح وعناصر الهوية الثقافية[١] (اللغة، والعادات والتقاليد، والقيم والأخلاق، والأزياء والملابس، والأطعمة والمشروبات، وممارسات الحياة اليومية والعملية)، وما يستتبع ذلك من تحديات تتزايد خطورتها يوما بعد يوم، دون أن تجدي محاولات التصدي لها، ليس فقط لأن العولمة هي الأقوى، ولكن لأن سبل المواجهة العربية فردية، وليست جماعية، ولأنها لم تعتمد التعليم والثقافة مدخلان أساسيان لإحداث التوازن بين الوارد المهيمن في صيغة العولمة وغيرها، والموروث الأصيل الذي يتعرض الآن للتشكيك في قدرته على تقديم أي شيء يصلح، وتلك إحدي سلبيات العولمة المقصودة (في بعدها السياسي)، وهو العمل على تشكيك الشعوب في موروثاتها واتهامها بالتخلف والرجعية والخروج عن الركب، وإقرار العولمة ومقتضياتها بديلا سهلا ومعاصرا عن الموروث، وهو ما يمكن تلخيصه في «هيمنة منطق السيولة»[٢] وسيطرته على كل أشكال الحياة.

---

(1) https://youtu.be/ed-Etpmw5DU.
(2) https://youtu.be/j8CVSMvhn3Q.